مقـــــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين الى يوم الدين .

وبعـد : فقد استرعى انتباهى "فكرة المنهج الصوفى عند المحاسبى والغزالى" لما لاحظته فيه من أهمية فكرية وثراء مفيد للفرد والمجتمع، اذ ان مسألة التصوف كانت قد شغلت تفكير الانسانية منذ بدايتها ، وخاصة التصوف السنى فى الاسلام المستمد من سنة النبى صلى االله عليه وسلم ومن أصحابه وتابعيه ، وما زالت تحتل مكانة هامة فى البحوث الفلسفية والدراسات الاسلامية فى عصرنا هذا ، فأصبح للتصوف أهمية قصوى فى الدراسات الفكرية والفلسفية فكان لزاما أن ينال قدره من البحث والدراسة شأنه شأن أى فرع من فروع العلم والفلسفة .

والمنهج الصوفى عند المحاسبى والغزالى انما هو نتاج معاناة نفسية وعزلة وموقف من الحياة فى عصرين سادت فيهما الفوضى المذهبية وتضاربت فيهما الأفكار ، وتدهورت العقيدة نتيجة لتيارات وافدة أدت الى ضعف الايمان ، لتعارض أفكارها مع جوهر العقيدة ، وذهاب رجال الدين طلبا للعلم والفخر والوصول الى المناصب الدنيوية الواهية . ومن ثم أخذ كلا الامامين : المحاسبى ، والغزالى فى البحث عن ذاتهما بين المعرفة المتعارضة حتى اهتديا الى الوصول الى المنهج الملائم فى تحقيق السعادة الروحية والعقلية للانسان. وذلك هو المنهج الصوفى الذى يحقق للانسان سعادته فى الدنيا والآخرة ، فلم يقللا من المذهبين الحسى والعقلى ولكنهما شكا فيهما حيث ذهبا الى أن الحس والعقل بالنسبة لما وراء الطبيعة سراب خادع. ثم رسما للبشرية الطريق لارضاء الله واشباع الرغبات الروحية ، وبهذا يكونان قد قدما للانسانية عملا عظيما وافرا يكون نورا لمن أراد أن يسلك الهداية الربانية ، ومصدرا هاما للتربية الأخلاقية والمعرفية .

ويعد المنهج الصوفى مصدرا من مصادر الفلسفة الأخلاقية كما ظهر عند اليونان حيث كانت مصادر الفلسفة اليونانية تعتمد على العامل الدينى ، والعامل الأخلاقى ، والعامل السياسى ثم امتد ذلك الى العصر الوسيط ، والعصر الحديث ، والفكر المعاصر . واهتم بالتصوف كثير من المفكرين المحدثين حيث ظهر أعظم نتاج لبرجسون وهو "ينبوعا الأخلاق والدين" ليشيد فيه بأهمية التصوف . وعلى حد

قول نيتشه "الفلسفة تنتقل من تصورات ذاتية الى تصورات موضوعية". وعلى حد قول راسل "ان العاطفة الصوفية أعظم ملهم للانسانية".

وتظهر أهمية المنهج الصوفى المنطلق من التصورات الذاتية والمعاناة النفسية، فى أنه يدعو للأخلاق عن طريق تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، ويتطلب رياضات شاقة لسالك المنهج حيث ان المشاهدة محلها الأرواح التى هى محل للمحبة والروح أشرف من القلب. ويدعو المنهج أيضا الى سيطرة النفس على البدن، وهى فضيلة ضبط النفس والتحكم فى أهوائها وهى من أهم أهداف الفلسفة الخلقية.

ويتضمن هذا البحث أربعة فصول وخاتمة :

يتضمن **الفصل الأول** نشأة الامام المحاسبى وثقافته وموقفه من ثقافة عصره والتيارات الفكرية السائدة. وفى نفس الفصل انتهجت نفس الطريق وبدأت بذكر موجز عن نشأة الامام الغزالى ثم موقفه من ثقافة عصره والتيارات الفكرية السائدة.

ويتضمن **الفصل الثانى** دراسة منهج المحاسبى والغزالى ومراحل بناء هذا المنهج عند كل منهمان واضعا نصب عينى اظهار الأصالة والعمق فى فكر كل من الامامين الجليلين اللذين أشاد بهما الجميع وكانا حريصين على أن ينهجا طريق المعرفة. مستمدين هذه المعرفة من المصادر الشرعية وأعنى بهما القرآن الكريم والسنة المشرفة.

ويتضمن **الفصل الثالث** نظرية المعرفة عند المحاسبى والغزالى، وقد تعرضت فيه لدراسة وتحليل موقف كل منهما من المعرفة الحسية والمعرفة العقلية والمعرفة الذوقية (الصوفية) وانتهيت الى رفض الاثنين للمعرفة الحسية والعقلية وعدم الركون الى الحواس أو العقل فى الوصول الى الحقيقة العليا، وهذا لا يعنى أنهما أنكرا العقل فى حد ذاته فقد أثنى عليه الغزالى فى كتابه الشهير "احياء علوم الدين" واعتبر العقل وسيلة للتمييز بين العلم المذموم والعلم المحمود وكان فى ذلك متأثرا بالمحاسبى. والغزالى فى هذا يوافق معظم المناهج الصوفية. فلم يكن رفضه للعقل لقصور فيه أو عجز عن تحصيل العلوم المختلفة. ولكنهم، أى المتصوفة، قالوا ان العقل لا يصلح لتلقى نور المعرفة اليقينية التى تكون المكاشفة عندهم أحد ثمارها حتى أفردوا القلب والوجدان لتلقى هذه الفيوض الالهـــية.

وهكذا بينت بالشرح والتحليل موقف الامامين من المعرفة الحسية والعقلية بعدما حللت هذه المعرفة كما بينت انتهائهما الى المعرفة الصوفية .

وهذا الفصل (فصل نظرية المعرفة عند المحاسبى والغزالى) أراه فى غاية الأهمية وجدير بالبحث والدراسة لاتصاله بافساح مجال لتيارات المنهج الصوفى اعتمادا على البصيرة لحماية الدين وصون العقيدة الاسلامية من النزعات الفكرية والخصومات الجدلية التى تؤدى الى الضلال والتشتت. ولعل مما يسترعى النظر هو تقسيم الغزالى للمعرفة والتى يراها مقترنة بالايمان الى . .

١ - (ايمان العوام) وهو ايمان التقليد الأعمى .

٢ - (ايمان المتكلمين) وهو ممزوج بنوع الاستدلال ،ودرجته حسبما يتفق أقرب الى درجة العوام.

٣ - (ايمان العارفين) ويعنى عند الغزالى المشاهدة بنور اليقين وهو موضوع المنهج الصوفى .

ويتضمن **الفصل الرابع** مناقشة الأخلاق عند المحاسبى والغزالى وفيه ايضاح ورسم للصورة الأخلاقية عند السالك المريد الذى يطلب الهدعاية والرشاد متجها بكليته الى الله عز وجل ، اذ تتكشف أنوار الحق فى سره بعدما يكون قد كابد النفس وحررها من شهواتها ، وزكاها وطهرها وخلصها من الآفات التى تصيبها كالغرور والكبر والعجب. مؤديا العبادات والفروض فى أوقاتها ، وحسب درجة وجوبها ، متحليا بالصدق والأمانة والورع والتقوى والخوف من الله عز وجل ، محاسبا نفسه ، ناظرا لخطرات قلبه وجوارحه ، مميزا بين اشارات الرحمن ونزغات الشيطان . وقد حاولت وما زال الحديث عن الأخلاق عند المحاسبى والغزالى - فى هذا الفصل - دراسة وتحليل العلاقة بين المنهج الصوفى والتربية الأخلاقية وبيان مدى امكانية وضع اطار لمنهج الأخلاق الاسلامية السامية .

ولعلى توصلت من خلال مناقشة هذا الفصل الى أن المنهج الصوفى لم يخرج عن الاطار الفردى فهو بمثابة تجربة ذاتية خاصة جدا للسالك المريد ، الا أننى وفى نفس الوقت لم انكر ما فى التصوف من جوانب ايجابية مشرقة وأخلاقية سامية من شأنها أن تثبت العقيدة. وتكون للأمة بمثابة المعين ضد التيارات المادية .

وتنتهى الرسالة بخاتمة تتضمن النتائج والأفكار التى توصلت اليها من خلال بحثى للمنهج الصوفى عند المحاسبى والغزالى .

ودائما يقولون ان البداية صعبة ، ولكنى استعنت بالله تعالى وشرعت فى هذه الدراسة المتواضعة على أن أضيف ولو قدرا يسيرا لجهد اخوانى الدراسين فى هذا المضمار من خلال بحثى

المنهج الصوفى عند الامام الحارث بن أسد المحاسبى المتوفى سنة ٢٤٣هـ والامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ .

وأرجو من الله تعالى أن يسدد خطاى على درب المعرفة والمحبة وتحصيل ما يمكن تحصيله من علوم ومعارف، مسترشدا بالمنهج العقلانى المستنير لأستاذنا المفكر المبجل **الدكتور عاطف العراقى** راعى التراث الفكرى والاسلامى فى هذا العصر الملىء بالتيارات المادية التى من شأنها عرقلة احياء الفكر والتراث، داعيا المولى جلت قدرته أن يعينه ويسدد خطاه دائما لأداء رسالته، وأننى لا أجد من الكلمات ما يوفيه حقه فقد صبر صبرا شديدا على هذا البحث، وعاوننى كل المعونة التى انتفعت بها فى بحثى هذا، كما **أشكرالأستاذ الدكتور/ علاء حمروش المشرف المشارك** على هذا البحث شكرا لا حدود له وأتمنى من الله السداد والتوفيق .

الفصل الأول

نشأة المحاسبى والغزالى وموقفهما من ثقافة العصر

أولا : نشـأة المحاسبى

أ - موقفه من التيارات الفكرية السائدة فى عصره .

ب - تعقـيب وخاتمـة .

ثانيا : نشـأة الغـزالى

(١) موقفه من علم الكلام والفلسفة والتصوف

أ - موقفه من علم الكلام .

ب - موقفه من الفلسفة - تعقـيب

جـ - الغـزالى والجولة الأخيرة (التصوف) .

د - تعقـيب وخاتمـة .